2022

بسم الله الرحمن الرحيم

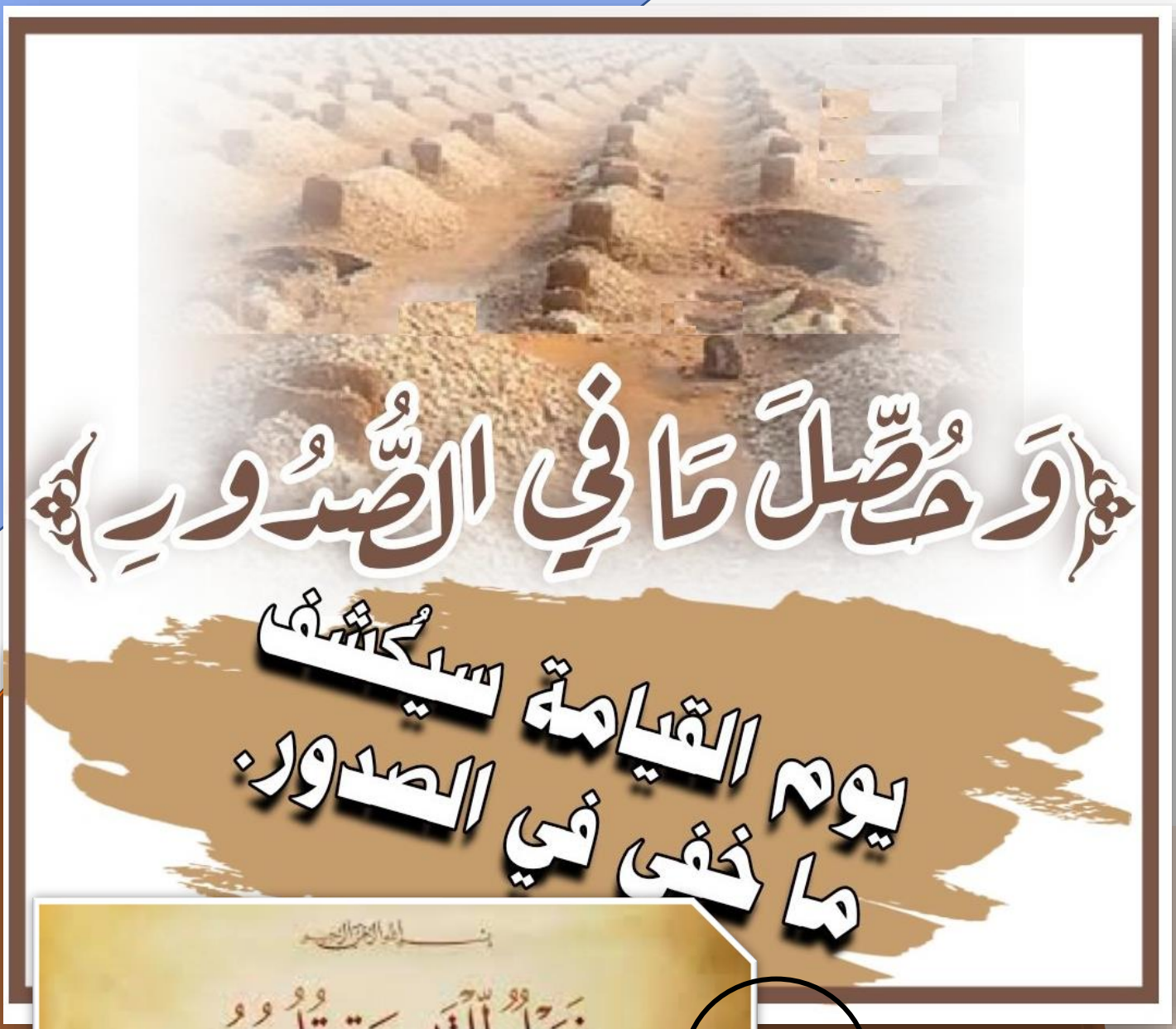

﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾

يوم القيامة سيُكشف ما خفي في الصدور.

إعـداد

أبو الحسن الحناوى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على حبيبه الأمين سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين صلى الله عليه وعلى آله وصحابته أجمعين.

أيها الأحبة الأفاضل والفضليات ..

ما أعظمَ مواعظِ الله عزوجل في كتابه العزيز المُنزّل!

وما أنفعَها للعبد الصالح الراجي رحمة ربه حين يتأمل!

ففي كلِّ آيةٍ موعظةٌ زاجرةٌ ، وعبرةٌ بَيّنة ؛ ونعيش في هذا اللقاء مع آيةٍ عظيمةٍ توقظُ الضمائرَ النائمة ، وتهُزُّ النفوسَ الخاملة ، وترتجفُ منها القلوبُ الغافلة ، لما فيها من وعدٌ ووعيدٌ وإيمانٌ وتوحيد ، تلك الآية العظيمة فيها تخويفٌ وترغيب ، وفيها تعظيمٌ وتمجيد ، يقول رب العزة سبحانه: ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ* وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾.

ما الذي يمكن أن نحصِّله في الصدور، وكأن حياتنا كلها هي عملية تجميع، وتخزين في الصدور؛ وما الذي نجمعه ونُخزِّنه في الصدور؟

لقد استبطأ الناس الآخرة وتشبثوا بالعاجلة ، واشتروا دنياهم بآخرتهم ، وذلك بسبب حبّ الدنيا وطول الأمل .. ولم يعلموا أنَّ صدورَهم تختزنُ كلَّ ما يقولوه ويفعلوه ويُضمروه ، وحين تقومُ الساعةُ ستُبلي سرائرُهم ، وما كانوا يُخفوه عن النّاس سيُصبحُ علانيةً ، وما نسوْه أحصاه الله وسجّلته الكتبةُ الكرام إن كان خيراً أو شراً.

سيكون ذلك اليوم إما حفلةُ تكريمٍ للمؤمنين الصالحين أو مجلسَ افتضاحٍ علني للعاصين والمنافقين والمشركين والكافرين على رؤوس الأشهاد.

موعظة بليغة للخلق

هذا إنذارٌ وموعظةٌ من الله عزوجل لعباده : ﴿ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾.
فكيف بنا لو عاينّا بأمِّ أعيينا الأمورَ، وقد بُعثرت القبور، وحصل ما في الصدور، وأُوقِفنا للتحصيل بين يدي الملك الجليل ، فطارت القلوب ؛ لإشفاقها من سالفِ الذنوبِ ، وهُتكتْ عنَّا الأستارُ والحُجُبُ ، وظهرت منا الأسرارُ والعيوبُ ، هنالك تُجزى كلُّ نفسٍ بما كسبت!

فيا لها من موعظةٍ ربانيةٍ ، قرنَ اللهُ تعالى فيها بين القبورِ والصدور في حدثٍ عظيمٍ لا مثيلَ له ، إنها موعظةٌ بالغةٌ تقرعُ القلوبَ ، وتغشى النفوسَ هولاً وخوفاً ..

- فالقبورُ تُبعثرُ ويَخرجُ مَنْ فيها ، والصدورُ تُفتّشُ ليظهرَ ما فيها
- القبورُ يخرجُ منها الأجسادُ ، والصدورُ يخرج منها العزائم والنيات
- القبورُ بين قبرٍ مظلمٍ وقبرٍ منيرٍ ، والصدورُ بين صدرٍ أسودٍ مظلمٍ وآخرُ أبيضٌ منيرٌ

القبورُ تُبعثر ليُحصّلَ ما في الصدور ويُجزى العبادُ على ما في ضمائرهم وما كانت عليه نواياهم .. لذا فإنَّ مما يُصلِحُ القلوبَ ذِكرُ القبورَ!

كان صفوان بن سليم يأتي البقيع فجاء على قبر من القبور، فلم يزل يبكي ويُكثرالبكاء ، وكأنَّه قبرُ بعض أهله ، فهو يأتي لزيارته ، ويتذكرُ هذا القريب الحبيب فيبكي ويَرِقُّ لذلك، فذُكرذلك لمحمدٍ بن المُنكدر فقال: كلهم أهله وإخوته ، إنّما هو رجلٌ يُحرّكُ قلبَه بذكرِ الأمواتِ كلمّا عَرضتْ له قسوة ، فما أعظمها من موعظة !

"وكلُّ امرئٍ يوماً سيعلمُ سعيَهُ
إذا حُصّلتْ عندَ الإلهِ الحصائلُ"

وقول الله تعالى: ﴿ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾ .. أي ظهر، وبان ما فيها وما استَتَر .. من كمائنِ الخير والشر ، فصار السّرُ علانيةً ، والباطنُ ظاهرًا ، وبان على وجوهِ الخلقِ نتيجةَ أعمالِهم ، وقد مُيّزت ، وأُبْرِزَ ما في صدور الناس من خيرٍ وشرٍ، إنها آية تُبعثرُ عن قلوبِنا غفلتها ، وتوقظ نفوسنا من سُباتها ، وتوقفنا على الحق الذي يجب أن نكون عليه ، إذ تُجسّدُ الآيةَ الكريمةَ عِظم الفضائحَ تجسيداً واضحاً.

ترقبٌ وانتظارٌ بعدَ البعث

أخي الكريم تخّيل نفسك الآن وأنت في يوم القيامة ، وقد خرجتَ من قبرِك تُجيبُ الداعيَ في هوْلٍ من الحشرِ عسير، واقفاً تنتظرُ حسابَك ، وتترقبُ الى أينَ يكونُ مساقك .. فبينما أنت على حالِك إذ نادى منادٍ باسمك أنت للعرضِ على ربك:﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ فتقومُ إلى ربك سبحانه ملبياً النداءَ، تنتظرُ النظرَ في حالِك ، وكيف يكون سؤالك وحسابك وتحصيل ما في صدرِك ، فالقلوبُ يومئذ واجفةٌ وهي أصناف عديدة ، والصدورُ فارغةٌ يومئذ وهي أنواع كثيرة ، قلوبُ نورٍ تُجزَى بالرضوان ، وصدورُ خيرٍ وبرٍ تُثاب بالغفران ؛ وقلوبُ ظُلمةٍ تُجزَى بالنيران ، وصدور شرٍ ومنكرٍ تَحيقُ بها غضبةُ العليم العلام.

- سيكون ذلك اليوم إمّا حفلةُ تكريمٍ للمؤمنين الصادقين والمخلصين وإما مجلسَ افتضاحٍ علني وعار على المكذبين والأشرار تُنشرُ فيه الأسرار .. على رؤوس الأشهاد يوم القيامة.

قلوب منيبة سليمة

- ألا وإنَّ من القلوبِ ، قلبٌ ممتلئٌ خوفاً من الله سبحانه قد حجزَ صاحبَه عن العصيان ، وكان ممن يقول في دنياه : ﴿ إِنَّا نَخافُ مِنْ رَبِّنا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً ﴾.
- قلبٌ قد خافَ مَقامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوى ، فيا لها من كرامةْ.
- وقلبٌ عُرِضَ على ربِّه فوَجدَ فيه خشيةً منه قد أيقظت الجَنان ، وعَصَمَتْ اللسان ، وسائر الأركان ، فله من الله الرضوان وجزيل العطايا والغفران لقوله: ﴿ جَزاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾.
- وقلب تَجمّلَ بالإخلاصِ لهُ سبحانه وتعالى في كلِّ عملٍ ، لم يُشركْ باللهِ شيئاً ، فله الجنّةُ وما أعظم نعيمها !!
- وقلبٌ جاء به صاحبُه فإذا هو يَحملُ فيه حبّاً لله تعالى قد ملكَ عليه الفؤاد ، وأشغله عن كلِّ محبوبٍ من العبادِ ، فما أعظم رضوان الله عنه.
- وقلبٌ جاء به صاحبه فإذا هو لم يَسكنْ فيه إلا ذكر الله تعالى .. فهنيئاً له سكنى دار السلام ، مشمولاً بالرضوان!
- وقلبٌ جاء به صاحبه إلى ربه فإذا هو قد استنارَ برضاه عن الله سبحانه ، كان راضياً عن الله في قضائِه ، راضياً عن اللهِ في شرعِه ، راضياً عن اللهِ في رُسُلِهِ ، فقد وجب له من الله تعالى أن يُرضِيه.
- وقلبٌ جاء صاحبه ، مخمومُ الفؤاد لا غلَّ فيه ولا حسدَ ولا حقدَ ولا ضغينةَ ، قد نُزعت منه الأحقاد ، وطَهُرت من الغل ، حسن المُقام !

- وقلبٌ جاء به صاحبه مليءٌ بالرَّحمةِ على العبادِ ، والرّأفةِ بالخلقِ.
- وقلبٌ جاء به صاحبه فإذا هو قلبٌ مُنيبٌ ، دائمُ التوبةِ والأوْبِ ، مُنكسرٌ لرَبِّه ، قال فيه اللهُ ﷻ: ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ * هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ * مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴾.
- وقلبٌ جاء به صاحبه يومئذ فإذا هو قلبٌ صادقٌ مع رَبِّه ومع نفسِهِ ومع الخلق، سِرُّه وعلانيتُه سواء.
- وقلبٌ جاء به صاحبه يومئذٍ فإذا هو قلبٌ يحملُ الأمانةَ الحقة قد أدّى حقَّ ربّه وأدىَّ حقَّ الخَلقِ ، لم يغدُرْ ولم يخُنْ فهو آمنٌ من العذابِ وآمنٌ من النَّصَبِ وآمنٌ من الحُزنِ.

- ✓ بمثلِ هذه الآيات تُزّكى النفوس ، وتَطْهُرُ القلوب ، وتستقيمُ حياةُ الإنسانِ ، وتصْلَح أحواله ، وتتفجرُ في القلب ينابيعُ البر والخير من الصدق والإخلاص والخوف من الله والإخبات اليه سبحانه.
- ✓ بمثل هذه الآيات يعظم في قلب العبد مخافة ربه ، ويَجلُّ فيه قدر مولاه وللحديث بقية باذن الله.

قلوب قاسية سوداء

نعم .. أيها الأخوة وعودٌ على بِدئ :

"وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ"

ما ظنكم أيها الأخوةُ الأفاضل بالقلوبِ المُسودةِ والصدورِ المُظلمة .. هي تلك الصدور والقلوب التي جاءت الى ربها للحسابِ مشفقةً ..

- تحملُ النِّفاقَ والرياء للخلق.

- القلوبُ التي جاءت حرصاً على السُّمعةِ في الآفاق ، والاشتهارِ بين الخلائق.
- جاءتْ تلكَ القلوبُ تحملُ الضَّغينةَ والبُغضَ للنّاس.
- جاء أصحابُ تلك القلوب الغافلة ، حاملةً حباً للدنيا أنساها نصيبَها من الآخرة

أصحاب تلك الصدور الملوثة العفنة والقلوب القاسية الصدئة قصدوا الدنيا في كلِّ عملٍ ، لا يعملُ أحدهم عملاً إلا ورجا أنْ يكونَ له من ورائِه مالٌ أو جاهٌ أو ثناءٌ فقسى قلبُه وضاق صدرُه.

هذه القلوب والصدور تدنست بالشرك أو الإلحاد أو النفاق وقد اختار صاحبها ذلك طواعية منه وحُباً في ذلك فيا خسارته ويا ندامته حين يَحقُّ عليه غضبُ اللهِ تعالى وسَخَطِه ولعنته !

ـ حتي وإن كان يظن أنه إدخر طاعاتٍ أو أعمالاً صالحةً ، وقرأ الآيات ، وأنفقَ الدَّراهمَ وجاهدَ في سبيلِ اللهِ تعالى ، فقد نسفَ الرِّياءُ والنِّفاقُ والشِّركُ عمَله وأذهبَه هباءً منثوراً قال المولى عزوجل: ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا * وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾.

صدورٌ ساخطةٌ حاسدةٌ

❖ أيها الأحبة الأكارم .. وإذا انتقلنا الى حالِ الصدور ، فصدور هؤلاء المنقطعين عن الله لا تحمل حباً لله ، قد أقعدها عن الاستجابة لأمر الله تعالى حباً آخر لغير الله ، فنجد ..

- صدوراً جاءت تحملُ تسخّطاً وجزعاً وقنوطاً من قضاء الله وقدره فيا شؤمَها .. شؤماه ! .. ويا ويلَها .. ويلاه.
- وهناك صدورٌ جاءت لا تحملُ حسداً وحقداً وغلّاً فقط بل هي مُكدّسةٌ بهذه الصفات المقيتة والذميمة.

- كذلك نجدُ صدوراً جاءت لملاقاة الله عزوجل وتحملُ كبرياءً وعُجباً ونفاقاً وقد قالَ اللهُ عزوجل: " الكبرياءُ رِدائي ، والعظمةُ إزاري ، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار". ورُويَ بألفاظٍ منها عذبته وقصمته وألقيته في جهنم.

ـ ذلك لأن كلَّ من تعاظمَ وتكبّرَ، ودعا النّاسَ إلى تعظيمِه وإطرائه والخضوعِ له ، وتعليق القلبِ به محبةً وخوفاً ورجاءاً ، فقد نازعَ اللهَ في ربوبيتِه وألوهيتِه ، وهو جديرٌ بأن يُهينَه اللهُ غايةَ الهوان ، ويُذله غاية الذّل ، ويجعلَه تحتَ أقدامِ خلقِه كما قال رسول الله ﷺ:« يُحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال ، يغشاهم الذل من كل مكان »

- وهناك صدورٌ جاءت تحملُ خيانةً وغدراً ومكراً كان لا يأمنها الناسُ في الدّنيا ، لكنّها أمِنتْ مكرَ اللهِ وتجرّأتْ على خلقِه فعاثتْ في الأرضِ فساداً بالخيانة والمَكرِ تارةً وبالغدْرِ تارة فكان هذا دَيْدَنُها وتلك سبيلها.
- وصدورٌ أخرى جاءتْ ربَها تحملُ كراهيةً وبُغضاً شديديْن لقضائِه وأحكامِه أوشَرعِه ومِنهاجِه أو لأوليائه وأحبائه وأهل دينِه..

ـ فماذا تظنّونَ بأصحابِ هذه الصُّدورِ حين لقاءِ اللهِ وتحصيل ما في الصُّدورِ من أسرارونشرها على رؤوس الأشهاد بأرض المحشر والحساب؟؟

- وصدورٌ جاءتْ تحملُ سوءَ ظنٍ بالله تعالى وكأنها مترددة وغير واثقة بموعود الله قال الله فيهم : ﴿ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾.
- وصدورٌ جاءتْ تحملُ قسوةً وغلظةً ، خاويةً خاليةً من ذكره تعالى .. قال سبحانه: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾.

نهجُ الرَّحمةِ المُهداةِ

ومن رحمة الله علينا أن بعثَ الرُّسلَ لتهذيبِ السلوك واصلاحِ الطبائعَ وترويضِ النّفوسِ على الخيرِ والأخلاقِ السَّوية وإرساءِ دعائمَ السلامِ والمودةِ بين النّاس وعلى رأسِهم خاتمهم المصطفي صلى الله عليه وسلم.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: » لا تَحاسدُوا، وَلا تناجشُوا، وَلا تَباغَضُوا ، وَلا تَدابرُوا، وَلا يبعْ بعْضُكُمْ عَلَى بيْعِ بعْضٍ ، وكُونُوا عِبادَ اللَّه إِخْوانًا ، المُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ: لا يَظْلِمُه، وَلا يَحْقِرُهُ ، وَلا يَخْذُلُهُ ، التَّقْوَى هَا هُنا ، ويُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاثَ مرَّاتٍ بِحسْبِ امرئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِر أَخاهُ المُسْلِمَ ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حرامٌ: دمُهُ ، ومالُهُ ، وعِرْضُهُ « رواه مسلم.

فالحديث نَهي عن سلوكياتٍ مشينةٍ وأخلاقٍ ذميمةٍ وبيّنَ كيفيةَ التخلّصِ منها ، ثم أوضح حُرمة المسلم على المسلم .. وكأنه يرشدُنا الى ما يُحيي قلوبنا في حياتنا الدنيا ، وما ينجينا يومَ العرضِ على الله عزوجل.

إنه المُعلم الذى علّم المتعلمين .. صلى الله عليه وآله وسلم.

كن رقيباً على نفسك

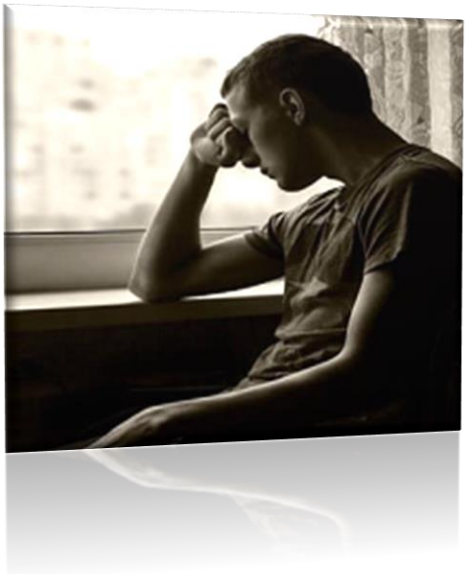

أيها الأخ الكريم ..

استعرض أنت الآن ما يدور في صدرك وخلدك ، وكن له مراقباً ، ومُحصياً لكل صغيرة وكبيرة ، لكل أمر دقيق وعظيم ، إنك ستجد ولا شك ما تخجل منه ، وتستحي من إظهاره ، فكيف يكون خجلك وحالك النفسي حين يَظهر ذلك على الملأ ويخرجه المولى؟

لا ليُظهره فقط ، بل ليُحاسِبك عليه ، فيا سوْءتاه حينئذ !

الله لا ينسى ما تنساه

ـ إن الإنسان في حين الغفلة ينسى قلبه ومشاعره وخلجاته وإراداته ، ويطويها كما يطوي الزمن، وينساها كما ينسى أحداث زمانه، كحالنا مع القبور، ننساها حين نخرج من ساحتها ولا نذكرها إلا حين موت الأحباب والأصحاب .. إنَّ الذي سيُخرجُ ما في القبور، يوم البعث والنشور ليُخْرجنَّ ما في أنفسنا ..

وليُحصلَنَّ ما في صدورنا

وإن نسيناها أو غفلنا عنها

لا تهمل هذه الموعظة

- ✓ إنها آية واعظة تطرد النفاق
- ✓ وتغسل القلب من الحسد والحقد والضغينة
- ✓ وتُذهب كبرياء النفوس المغرورة بجمالها أومالها أو جاهها
- ✓ آية لا مكان للرياء معها في القلب
- ✓ ولا مَنزل للعُجب معها في الصدر
- ✓ آية تزكِّي القلب من احتقار الناس ومن الشماتة بالخلق.

قوموا على قلوبكم بالرعاية والمراقبة ؛ فإنها سوف تُكشف يومَ العرض على الله عزوجل.

أخوكم في الله / ابوالحسن الحناوى

فيينا في 05 من يناير 2022